

عصرنا الحاضر هو مؤسس التاريخ ومحييه فعلم الآثار وعلم الألسنة والجغرافيا، وكل هذه العلوم أخذت بيد التاريخ وصعدت به درجات عالية وإن التحقيقات الصحيحة التي وضعها حكماء هذا العصر وعلماءه قد نفحت الوقائع الماضية روحاً حية وكستها حلة ثابتة حتى تمثلت الدراري القديمة بعاداتها وأخلاقها ومطامعها وأفكارها على أسنوب أقلام تيرس وتيوري وميشنه وكيزومينه. فعصرنا هذا ولا وراء عصر التاريخ قبل كل شيء.

الحديدة (جزيرة العرب)

محب الدين الخطيب

إصلاح التعليم في الصين

كتب أحد الباحثين من الأوروبيين رسالة في معنى فمضة الصين إلى إصلاح التعليم القديم عندها فقال أن هذه المسئلة كانت لها طريقة تامة في التعليم منذ القرن الرابع والعشرين قبل التاريخ المسيحي على عهد حكم منوك هيا فكان لكل أسرة قاعة لندرس ولكل كورة كتاب ولكل مقاطعة مدرسة فيفتح المتعلمون كل سنة ويرتقي الأكفاء إلى مناصب الحكومة وفي القرن الثامن قبل المسيح بطنت طريقة إعطاء الوظائف بالاستحقاق العنسي وأصبحت وراثية إلا أن كنفرشيوس حكيم تلك الأمة جاء في القرن التالي وأحيا معالم التعليم على الأصول القديمة ونظمتها فأحسن تنظيمها حتى أصبحت بعده محترمة في أقطار المسئلة وما زالت تعاليمه معنولاً بها وتختلف لضعف أنصارها وقوتهم في بعض القرون وبقرة البوذية والتاوسمية حتى كانت سنة

1904 فأصدر الإمبراطور أمره بإلغاء الأوامر القديمة الصادرة بشأن التعليم التقليدي وبذلك ألغى نظاماً اجتماعياً جرت عليه أمتة منذ خمسة وأربعين قرناً.

وقد شعرت الصين منذ حروبها الأولى مع أوروبا بقللة التعليم في موظفيها وتبين لنبلات الإمبراطوري أن ذلك كان السبب الرئيسي في ضعف المنسكة ولذلك عزم الإمبراطور منذ سنة **1898** أن لا يمنح الوظائف إلا لمن اطلعوا على العلوم الحديثة الأوروبية فأصدر أمره بإنشاء مدارس على الطراز الحديث وإقامة كلية في بكين على مثال كليات أوروبا وفي سنة **906** ألف نظارة معارف عمومية وكان من أثر ذلك أن توفرت العناية بتعليم البنات وكانت النساء من قبل مقصورات في بيوتهن معتبرات في نظر الصينيين أحط من الرجال وأهم ما يعلنه في المدارس الكثيرة التي أنشئت لتخريجهن الأخلاق والمالية وأعمال البيوت والرياضيات الجسدية ويمنعن من تضيق أرجلهن منعاً قطعياً.

وكثر عدد المدارس الخاصة والعامة التي أنشئت مؤخراً لتعليم الفنون المختلفة كالصناعة والملاحة وعمل الخطوط الحديدية والبحرية والشرطة وعلم التربية واللغات الأجنبية. وساعد الأدباء والعلماء والصحافيون على خدمة أفكار الحكومة في هذا الشأن وأخذوا يؤلفون الكتب والمعاجم ويترجمون من لغات أوروبا كل مفيد لحياتهم وأخذت الحكومة والأهالي يحاولون إيجاد الأموال لهذه المشاريع ومن جملة الذرائع التي عمدوا إليها ضربهم الضرائب على محال تناول الشاي لتصرف في سبيل تعليم الأمة. وقد خطر على الأساتذة أن يهينوا التعليم القديمة فجاء في لوائح المدارس بهذا الصدد إن للنظام الاجتماعي والسياسي في ممالك أوروبا وأميركا واليابان صيغة خاصة به كما

أ. إدارة الصين وأخلاقيها لها صفة خاصة بنا فعلى كل أستاذ صيني أن لا يتفوه بكلام يعد مروقاً وكفراً لديك بما ثبت من أفكاره بناء الصين الاجتماعي والسياسي فإذا انتقد الفضائل الأصينية والصلوات العامة مع الفلسفة المشهورة (فلسفة عنساء الأدب وكنفوشيوس) يحقق أمره فإذا ثبتت إدانته يحكم عليه بحسب ذنبه وحظر على التلاميذ أن يشتغلوا بالأمر السياسية ويعقدوا اجتماعات وينشروا جرائد.

ولا يحطرون على بال أحد أن التعاليم القديمة سقطت في الصين بالمرّة بل بالعكس زادت العناية بها على قدر العناية بالعلوم الغربية الجديدة ولا تأتي سنة 1900 حتى ينتظم أساس الإصلاح الذي وضعته مملكة ابن السماء وهي تأخذ العزم الآن عن أربع دول اليابان والولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا ولكن اليابان أقدموا على تعميم الصينيين إقداماً غريباً وفتحوا لهم المدارس في عاصمتهم بكين بالذات وغيرها من الحواضر وكل يوم يزداد عدد الطالبين والطالبات من الصينيين الذين يأتون كليات اليابان ويدرسون فيها كما أن المعلمات اليابانيات والمعلمين اليابانيين يغدون بالعشرات على المملكة السنغوية ولا سيما على جنوها.

الكتاب

حدثنا القراء في النسخة الماضية بشيء مما عربناه من الكتاب الذي صدر حديثاً لنسيو البرسيم وهما نحن ننقل لهم بعض فوائده جديرة بالنظر والاعتبار فقد قال في تأثيرات المطالعة في المرء ولا سيما ما يطالعه في صغره نقلاً عن كتاب عشاق الكتب لألفرد دي ماترون العارف بالتأليف والتصنيف: إن المرء في صباه لا يهتم بشكل الكتاب جميلاً كان أو بشعاً حسن التجنيد أو سيئ بل يضحك من يقول له أن طبعة

هذا الكتاب أصبحت نادرة وأن هذه الفقرة غريبة وأن هذه الأسفار نال مؤلفوها الجوائز عليها ولا يحتفل إلا بالفكر ولا سيما بما فيه شعور وعواطف ولا يعبأ إلا بما يرضي فؤاده ويشير عواطفه ويحركها. فأف من الفكر والجمال والتذهيب الجميل. ولذلك لا ترى مولعاً في الكتب وهو في سن العشرين لأن المرء في صباه لا يستطيع أن يعاود قراءة كتاب قرأه فلا يكاد يحسن القراءة حتى يأتي على آخر ما يقرأ ولا سبيل إلى الحكم جيداً على كتاب إلا بمطالعة ثانية وفي أدوار مختلفة من الحياة ومن ثم كان من الكتب ميزان حرارة للعقل أو للنقب.

قال الفرد دي ماترون: إن المرء في العشرين من عمره لا يكون من غلاة الكتب وأحبائها وما قاله يصح أن يكون قاعدة في هذا الباب لأن العواطف في سن العشرين تحكم على العقل بل تحكم على كل شيء فيسرع المرء في تلك السن إلى الوقوف على كل شيء ويعرف كل شيء ويقرأ كل شيء ون شئت فقل يقنب صفحات كل كتاب. ويندر في تلك السن السعيدة من يستطيعون أن يعادوا قراءة كتاب ثانية بدون أن يكرههم مكره فيأتون ذلك إما مدفوعين برغبة منهم أو لقلة ما لديهم من الكتب الجديدة أو كتب لم يقرأوها بعد ولم يتصفحوها.

وقال آخر: لا يشرع المرء بمعرفة القراءة إلا بعد خروجه من المدرسة. وفتيان المطالعين لا يحبون من الكتب إلا ما حدث وضعه وقلنا يرجعون إلى الكتب المؤلفة قديماً. وأورد المؤلف أسماء كثيرين أولعوا بالمطالعة منذ عرفوا القراءة بل منذ فطنوا عن أئداء أمهاتهم مثل أسقف دافراش هويه (1630 — 1721) والفيلسوف جان جاك روسو (1712 — 1778) والشاعر يوحنا أنطون بوشه (1745 — 1794)

وبنيامين فرنكنين (1706 — 1790) وهنري بيل القصصي النقاد الفرنسيون (1783 — 1842) ولامارتين الكاتب الفرنسي (1790 — 1869) وسينفيو بننيكو الأديب الإيطالي (1789 — 1854)

وجورج ساند قصصية الفرنسية (1804 — 1876) وشارل دينون وكنهم ما كادوا يفتحون عيونهم إلا والكتاب بأيديهم بفضل تربية آبائهم وأمهاتهم الذين كان بعضهم يقرأ لهم ليسمعهم سير العظماء وأقوال الحكماء فانغمست البذور الصالحة في عقول أبنائهم وجاء منهم فلاسفة وكتاب متفردون وتبين لما استشهد به لهم من تذكراهم أن معظمهم كانوا يعيشون الحلاء بين الرياض والغياض يطربهم صوت العندليب ويؤرقهم صوت القمر ويستفهم خريز الماء وعنيل الهواء.

وقال في فصل المطالعة والتصفح: جعل سنس الطبيب الروماني في القرن الأول قبل المسيح القراءى بصوت عال من جملة الرياضيات النافعة لنصحة وأن المطالعة على هذه الصورة ضرورية لفهمهم والذوق وذلك لأن جرس الصوت يساعد كل المساعدة على تعليق الجمل في الذهن. وقد قال العالم أرنست لوكوفه أنه لا شيء ينير عقلاً مثل القراءة بصوت جهوري ويقفنا على ضعف الإنشاء إن كان ضعيفاً وقوته إن كان قوياً وفساد الشعور المصور فيه. ففي الكلام تنشيط وفيه للأفكار إيضاح بل تحقيق وكل من يتعاطون عملاً شاقاً كالحطابين والحبازين يتحسنون بما يلقيد بعضهم على بعض من الأصوات ولا يرى دودان أن يقرأ قارئ للإنسان بل أن يقرأ بنفسه ويرى أن الطريقة الأولى أجدر بالمرضى والعميان لأن لكل قارئ نعمة يكون بها التأثير في عقده ولله طريقة في الفهم والتسعين لا يقوم بها سواه.

ومن العادة في بعض المدارس والأديار أن يقرأ قارئ شيئاً من الأدب والقصص والتلاميذ جلوس على المائدة وكان ذلك شأن شارلمان يتنى على مسامعه وهو على الخوان كتاب القديس أوغسطينس وكان الفيلسوف فولتير يؤثر أن يقرأ له وقال: إنني أحب هذه الطريقة لأنها كانت مألوفة للقدماء وأنا منهم. وكان الكردينال موري (1746 — 1718) يقول أن المرء إذا خلا بنفسه يجب أن يطالع كتباً تفيد حقيقته وإذا كان مع أخوانه فالأجدر أن يتنى عليه ما يحسنه ويهيج له لأن الناس في انفرادهم غيرهم في اجتماعهم.

قال مؤلفنا: أما كتب الحكم والآراء فالأحرى بل الأفيد بأن تتلى قطعة قطعة لا دفعة واحدة وأن ترسخ بكتيبات قليلة فكما أن المرء لا يبيع أقراص المعاجين إلا واحداً واحداً هكذا يجب عليه أن يسير في الأخذ من كتب الحكماء. وقال الأمير لين (1735 — 1814) أن الطريقة الوحيدة في مطالعة كتاب من الحكم بدون أن يمل هو أن يفتح كتباً سنحت الفرصة وبعد أن يسقط فيه على ما يهينه منه يطبقه بعد تصفحه صفحة أوص فحتين ويأخذ يفكر فإذا تصفحاً كتبها يكون أشبه بمن قلب مجموعة صور دفعة واحدة فلا يرتسم مخيلته واحدة منها.

وتختلف طريقة المطالعة بسرعة أو بتأن بلا فاصلة أو بفاصلة بقلّة أو بكثرة وهذا تابع لحالة القارئ وما يقرأ وحالة بصره وقوة انتباهه وأوقاته وخطر ما يتنوه وتأثير الكتاب فيه. وإن كتاباً في الفلسفة لا يقرأ كتباً تقرأ قصة وخير في الكتب المنيلة أن تتصفح تصفحاً وكل من يعيشون بين الكتب والمطبوعات والمخطوطات ويبحثون كثيراً فيما بين أيديهم لا يسعهم إلا أن يتصفحوا تصفحاً.

وكان لما كنيابشي العالم الفلورنسي قيم الكتب (1633 — 1714) طريقة خاصة في المطالعة فإذا وقع له تأليف جديد ينظر في عنوانه ثم يرجع إلى الصفحة الأخيرة منه ويتصفح المقدمات والفهارس والتقدمات. وينقي نظرة على كل التفاصيل الرئيسية وكان له من الوقوف على التأليف ما يتمكن معه من معرفة حقيقة المصنف في لحظة بل أنه يعرف المصادر التي أخذ منها المؤلف. ومن أرباب الاختبار في معرفة القراءة من يعرفون ماهية الكتاب من تقليب أوراقه ويدركون ما في صفحة منه من الفوائد بمجرد إلقاء النظر عليها ومنهم من يعرفون كيف يتصفحون الجرائد فلا يقع نظرهم إلا على ما يهتفون منها ولا يضعون ثانية من أوقاتهم في النظر بما لا يفيدهم.

ورأى بعض أهل العلم أن الذهن مهبط بلع من حدته يخون صاحبه في تذكر الفوائد التي قرأها فالأولى له أن يقيدها ولذلك كانت الفهارس مما يعين كثيراً على الرجوع إلى مضامين الكتاب. ومن عشاق المطالعة من لا يكتفون بتقيد الفوائد في تذكراتهم بل هم يكتبون على كل صفحة قسّم كتاباً تعنيهم على الكتاب نفسه ولكن أكثر باعة الكتب يرون هذه الطريقة مما يعوق الكتب عن بيعها إلا أن المؤلف ومحبي الاستفادة لا يهتفون إلا أن يشتعروا من كتبهم ولو بتزويقها وتشويهها وما الكتاب إلا أداة لتعلم يجب استخدامها على النحو الذي ينتفع به نفعاً حقيقياً بل هو رفيق وصديق تحب معارضته ومناقشته أحياناً وأن لا يسلم له كل ما يورده.

يقول الفيلسوف سينيكا والأديب بلين لجون أن الإكثار من الكتب يششت الفكر وأن عادة القراءة كثيراً تفضل قراءة أشياء كثيرة وقال لبعضهم: لا نهاية للاستكثار من الكتب ومعنوم أنه في هذا العصر الذي دعى بعصر الورق بل في هذا العصر الذي

اشتدت فيه تبايح مرض جديد أي الجنون في الطبع والنشر أن الكتب تنمو وتتضاعف من يوم إلى يوم. وما أجمل ما قالت أريستيب الفيلسوف اليوناني (390 ق.م) أحد تلاميذ سقراط وصاحب المذهب الأبيقوري المنسوب لمدينة سيرين: ليس من يأتون كثيراً هم أسمن من غيرهم وأصح منهم أجساداً بل السنان هم أولئك الذين يهضمون. وهنا استشهد المؤلف بإحصاء غريب لبعض المشتغلين منذ اختراع الطباعة على القرن الماضي فقال أنه طبع في جميع أنحاء الأرض من سنة 1436 إلى سنة 1536، 42 ألف مجلد وفي سنة 1536 إلى سنة 1636، 575 ألفاً وفي سنة 1636 إلى سنة 1736 مليون و225 ألفاً وفي سنة 1736 إلى سنة 1822 مليون و839960 فيكون مجموع ما طبع زهاء ثلاثة ملايين ونصف مليون مجلد وإذا قدر معدل هذه المصنفات بثلاثة مجلدات وإن أقل ما يطبع من كل كتاب 300 نسخة فيكون قد خرج من المطابع كلها في نحو أربعة قرون 3313764000 وقدر أن تنشيها حرق أو استعمل صرراً عند البدالين والباعه فلم يبق منها إلا ثلثها. وزيف بعضهم قوله بأن التوراة وحدها طبع منها زهاء 36 مليون نسخة وأن كتاب الاقتداء بالمسيح طبع منه وحده ستة ملايين وأنه إذا كان كتب على تاريخ فرنسا وحده ثمانون ألف مجلد فكم تكون كتب الأرض. وقدر أحد الأميركان عدد الجلدات في الولايات المتحدة كما يأتي 420 مليوناً في البيوت و150 مليوناً عند العشاء والكتاب والمخترعين و60 مليوناً عند الكتبية والطابعين و50 مليوناً في خزائن الكتب العامة و12 مليوناً في مكتب المدارس والجامعات و8 ملايين عند التلاميذ وأن في أوروبا الغربية مئياراً وثمانمائة مليون مجلد وفي أوروبا الشرقية أربعمائة وستين مليون مجلد

و240 مليوناً في سائر أقطار العالم. قال المؤلف: وبينما أهل الإحصاء يحصون ترى المطابع تصدر الكتب بالألوف فيقدر الآن ما يصدر كل سنة من الكتب في الشرق والغرب بخمسة وسبعين ألف كتاب جديد منها 25 ألفاً في ألمانيا و13 ألفاً في فرنسا و10 آلاف في الولايات المتحدة و7 آلاف في إنكلترا فنو فرضنا أن معدل ما يطبع منها ألف نسخة تكون كتب العالم قد زادت كل عام 75 مليون مجلد.

قال مؤلفنا في اختيار الكتب وهل تفضل القديمة أم الحديثة فرأى أن الشبان ومن قبل عنهم وأدبهم يؤثرون الجديد على القديم وإن كان الجديد في الغالب غثاً بارداً والقديم سميماً مملوءاً بصحيح الفكر ومتين الإنشاء. وفي كتب القدماء كنوز قديمة لا مثيل لها في آثار الخدثين. قال: وعندي أن يختار من الكتب العنسية أحدثها التي أخذت بأطراف ارتقاء العلم عامة وآخر ما وصل إليه كماله أما في الأدب فيختار أحسن كتابه مهما قدم عهدهم فالآداب القديمة كما قيل كنما قدمت تتجدد.

ولا مرأى في أن المطالعة تؤثر في عقولنا واضطراباتنا وتورثنا الفسق والحزن فمن الفضول أن نزيد على ذلك ما تدخله علينا من السرور والنفع قال جول لبي في كتابه علم حب الكتب ومعرفتها ما أكثر من يروون أمراضهم بفضل الكتب التي يطالعونها ولو عرف الناي ذلك حق معرفته لزد عدد المولعين بالكتب زيادة عظيمة. وتكلم المؤلف على الروايات وقال أن بعضهم يراها سبباً لهيئة الاجتماعية وذكر كتي الفيلسوف النقاد الألماني أنه من العبث أن يقول القائلون أن من الكتب ما يؤثر في إفساد الأخلاق وما الفساد إلا متوفر كل يوم في هذا الخيط وعندي أنه لا يجب التحرم كثيراً من ذكر ما لا يجدر أمام الأولاد من الأحاديث فإن الأولاد كالكلاب

لهم حاسة قوية في الشم ويكتشفون كل شيء ولا سيما ما كان من أمور الشر. ولنعلم أراء مختلفة في هذا الشأن والأكثر على أن الروايات خيرها أقل من شرها وقشرها أضعف من لبها أما مطالعة الجرائد فهي لا تعد في باب مطالعة الكتب لأنها تكتب بسرعة دون أن ينظر فيها النظر البليغ وما الجريدة كما قال بايل إلا فاكهة الفكر. وقال سانت بوف: يجب بادئ بدء أن نتزود من الخبز واللحم الطيب قبل أن نضع الفاكهة والحناء. كتب تيوفيل غوتيه الكاتب الصحفي الفرنسي أن مطالعة الجرائد تحول دون نبوغ القرائح القوية الشكينة التي لا تريد غلا عشاقاً اقوياء في جدة الشباب فالجريدة تقتل الكتاب كما أن الكتاب قتل المهندس وكما قتلت المدفعية الشجاعة وقوة الأعصاب. وقال جبرائيل هانوتو العالم: إن الجريدة هي المنافس الحقيقي للكتاب وما النجاح الذي أحرزته الجريدة غلا لرخص أثمانها وعندي أن الديمقراطية يجب أن يرخص فيها كل شيء لداواة أمراض النفوس وأن المستقبل لا يبقى إلا على نوعين من الكتب المزخرف والمبهرج الذي تطيع منه كميات قليلة ليقضيها أرباب القصور والغنى والكتب البسيطة التي تباع بأرخص ما يمكن من قيمة ليسوع للجنهور اقتناؤها من أيسر سبل وهذا الضرب من الكتب يحفظ لنعم رونقه وتبقى له حياته فالفلاح والعامل يجب أن يقرأ شيئاً وأن يخرج لها ما يقرأ أن وحاجتها ماسة إلى غير كتب التفاويم وبهذا تبين أنه لا يخشى على الكتب من قلة عشاقها في المستقبل بل أن النفوس تظل عليها مقبلة ما بقي الدهر.

وقال مؤلفنا في الفصل الذي عقده للكلام على مخرقي الكتب وأعدائها أن أعظم ما عرف من المصائب التي أصابت المكاتب على ما ذكر بيروز المؤرخ الكندي من أهل

القرن الثالث قبل المسيح (عليه السلام) واسكندر بوليستور الكاتب العالم اليوناني من أهل القرن الأول قبل الميلاد أن ملك بابل يختصر الذي أرخ به منذ سنة 747 ق. م قد أمر بإحراق جميع تواريخ أسلافه ليسدل بذلك حجاباً كثيفاً على الماضي ويكون عهده مبدأ يحرون على التاريخ به في جميع العالم. وأحرق الإمبراطور شي هونغ في الصيني سنة 213 ق. م جميع الكتب التي في مملكته ولم يستثن منها إلا المصنفات التي فيها تاريخ أسرته وعلم النجوم والطب وذلك بغضاً منه للتعلمين والمتأدبين.

قال المؤلف: وأعظم ما أصاب الكتب من البلى في التزيق والتحريق الفتن الدينية وذلك لأن الكتاب خير ناطق عن الإنسان. له من الصفات ما يخوله المتول في كل مكان ومن القوة والجرأة ما لا نظير له فاقتضت الحال أن يبدأ بإسكاته قبل كل لسان أي أن يحرق لأنه الناطق الذي لا يسأم كما يسأم المخالفون والمناهضون. فقد أحرق الرومان كتب الإسرائيليين والمسيحيين والفلاسفة وأحرق الإسرائيليون كتب المسيحيين والوثنيين وأحرق المسيحيون كتب الوثنيين والإسرائيليين وأحرق المسيحيون معظم كتب أوريجين أحد زعماء الكنيسة في القرن الثالث للمسيح وكتب قدماء الملاحدة وأحرق الأرمينيون كسينيس (وزير إسبانيا والمفتش الديني 1436 — 1517) عندما استولى الإسبان على غرناطة خمسة آلاف مصحف وأحرق أهل المذهب البروتستانتي من البروتانيين في إنكلترا على أوائل عهد الإصلاح ما لا يحصى من الأديار والآثار القديمة وأحرق كرمفل مكتبة أوكسفورد وكانت من أعجب خزائن الكتب في أوروبا.

ثم عاد المؤلف إلى الكلام على مكتبة الإسكندرية ثانية وبرأ المسلمين من إحراقها فقال: تكلمنا على مكتبة الإسكندرية التي شاع بأنها أحرقت بأمر الخليفة عمر عند استيلائه على الإسكندرية سنة 640 وقفنا أن هذه المكتبة لم يكن لها وجود في ذلك العهد البتة وأن أحد قسسيها حرق قضاء وقدرًا سنة 47 قبل المسيح عند هجوم جند يوليوس قيصر وأن القسم الآخر حرق بعد هذا التاريخ بنحو أربعة قرون أي سنة 360 على يد الأسقف أو البطريك تيوفيل الذي كان يرمي إلى إبادة الوثنية في أبرشيته. ولم يعثر على كنيسة واحدة قالها مؤرخوا ذلك الزمن من عهد حريقها إلى قدوم عمرو بن العاص عامل الإمام عمر ما يستدل منه ويحمل على الفرض بأنه أنشئت في الإسكندرية مكتبة ولا ينبغي أن يعجب من ذلك إذ من أسبابه أن الآداب والفلسفة الوثنية كانت في تلك الحقبة من الدهر قد حكم عليها بالتبديد في كل مكان حتى أن جوستينيانوس أمر بإغلاق مدارس آثنية.

ومعنوم أن ما ينسبونه لعمر من الجواب الذي أجاب به عمرو بن العاص وقد سأل عما يعمل بمكتبة الإسكندرية فقال له: انظر فإذا مكان ما فيها من الكتب يوافق ما في كتاب الله فلا فائدة منها وإذا كانت مخالفة له فليس لنا بها حاجة فأحرقها. وعلى الحسنة فقد قال من أورد هذه القصة أن عمرو بن العاص وزع هذه المكتبة على جهات الإسكندرية فاستعانت بها على إخماء حماماتها ستة أشهر مع أن الورق دُع عنك الرق إذا صُحح لإشعال النار فلا يصلح لأن تدون به طويلاً.

ثم استشهد بقول جان جاك روسو في خطابه في العلوم والفنون: ولو كان غريغوريوس الكبير مكان عمر والإنجيل محل القرآن لكانت مكتبة الإسكندرية بدأت أيضاً على أن

البابا غريغوريوس المشار إليه (540 — 604) متهم بإحراق كتب القدماء ظناً كما اتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولكن التاريخ لا يظنهم أحداً.

وقال في كلامه عنى ما يكتب عنيه الكتاب أن الرق هو من اختراع فرغامس (برغامه) في آسيا الصغرى والمطنون أنه عرف قبل خمسة عشر قرناً أما الورق فالأرجح أن الصينيين هم الذين اخترعوه وأن العرب نقلوه إلى أوروبا كما قال الدكتور غستاف ليون في كتابه حضارة العرب: إن الكتاب المخطوط العربي الذي عثر عليه القصيري (الطرابلسي) في مكتبة الإسكرويل مكتوب على ورق من القطن ويرد تاريخه إلى سنة 1009 هو أقدم مما عرف من المخطوطات المحفوظة في مكاتب أوروبا تدل على أن العرب كانوا أول من استعاضوا عن الرق بالورق وذلك أن الصينيين كانوا يصنعون الورق من الحرير منذ أزمان بعيدة فدخلت صناعته إلى سمرقند منذ أوائل الصدر الأول للهجرة حتى إذا جاءت العرب تلك المدينة فاتحة رأيت فيها معبلاً للورق ولكن هذا الاختراع الشين يصعب الانتفاع به في أوروبا لأن الحرير كان غير معروف فيها اللهم إلا إذا استعاض عن الحرير بمادة أخرى. وقد ظهر من البحث في مخطوطات العرب القديمة أنهم وصلوا في الحلال من صنع الورق إلى درجة من الكمال لم يتجاوزوها ويظهر أنه من الثابت أيضاً أن صنع الورق من الخرق هو من اختراع العرب على ما في صنعه من التعب وما يحتاج إليه من المهارة وذلك لأن ورق الخرق عرف عند العرب قبل أن يعرفه المسيحيون بأزمان أهـ.

وبعد فهذا ما ساعد المقام عليه من الاقتباس من فوائد الكتاب وكنا نود لو عربنا أكثر ما عربنا مما يفيدنا في اجتماعنا وتاريخنا ولكن ما لا يدرك كنهه لا يترك جنده وهذا القدر الذي أوردناه كاف في الدلالة على فضل مؤلفه.

والكتاب يطيب من مكتبة أرنست فلاماريون في باريس وثمنه كنهه اثنان وعشرون فرنكاً ونصف ملا عدا أجرة البريد فنحول أنظار من يعرفون الإفرنسية إلى اقتنائه.

رسالة رشيد الدين الوطواط

فينا جرى بينه وبين الإمام الزمخشري من الخاورات

عني بنشرها أحمد بك تينور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب العلامة رشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري المشهور بالوطواط إلى الإمام سديد الدين بن نصر الحاقمي: طنبت مني زينك الله تعالى بأنوار المزايا وهماك من كل حادثة منسية وكل طارقة مهينة ولا أخلاك من فخر تجتنيه وجميل ذكر تكتسيه وجزيل أجر تحتسيه وأثر جهل تجتنيه أن أهدي إليك وأمني عليك ما قاله جاز الله سقى الله ثراه في كتاب الكشاف في وجه انتصاب شهر رمضان وما قتته من الاعتراض على كلامه واستبعاد مدعاه عن مراده مما جرى بيني وبين أعز أصحابه أفضل القضاة يعقوب الجندي من السؤال والجواب وهذا أنا مطبق فينا أقوله مفصل السداد والصواب وقد ذهب من عندي إلى جاز الله وأخبره بما قلت فأنصف وأنصت وأبدي خضوعاً لاستماع الصديق وإتباع الحق وقال له: ذكرني هذا الأمر بعض أيام فراغي حتى أصلح من كتابي هذا الفصل وأغير هذا القول فإنه غلط شنيع وخطأ فظيع